

## الخطاب الحجاجي في طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد للکواکبي – دراسة في آليات الإقناع اللسانية-".

المشرف الأستاذ الدكتور: عمار ربيع  
طالبة دكتوراه: رميساء مزاهدية  
قسم الآداب واللغة العربية  
كلية الآداب واللغات  
جامعة بسكرة (الجزائر)

### Résumé :

Cette étude vise, à la fois avec son aspect théorique et pratique à chercher la détection de la particularité substantielle de la langue dans le discours argumentatif en se tenant à chacundes discours et de l'argumentateur. Également étudier la configuration argumentative de El Kawakibi et Fournir une lecture des principes généraux et des contenus intellectuels généraux ainsi que leurs concepts les plus importants dans le contenu du livre La nature tyrannique et l'esclavage de luttteur. Remettant en question les mécanismes linguistiques persuasives que contient son discours, et le rôle joué par ces mécanismes linguistiques qui y sont intégrés par l'expéditeur pour gagner le destinataire et consolider les significations dans son esprit, et le lier sous prétexte de l'argumentateur, et cela en Interrogeant les mécanismes linguistiques qui y sont employés et L'exposition à sa fonction.

### ملخص:

تسعى هذه الدراسة بشقيها النظري والتطبيقي إلى الكشف عن الخصوصية الجوهرية للغة في الخطاب الحجاجي، وذلك بالوقوف عند كل من الخطاب والحجاج، وكذا تقصي التكوين الحجاجي للكواكبي وتقديم قراءة في المنطلقات والمضامين الفكرية العامة وأهم تصورات في غوى كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، واستنطاق الآليات الإقناعية اللسانية التي يثويها ويتضمنها خطابه، وما تلعبه هذه الآليات اللسانية المدرجة فيه من قبل المرسل لاستمالة المرسل إليه وترسيخ المعاني في ذهنه، وربطه بدعوى الحجاج، وذلك من خلال استنطاق الآليات اللسانية الموظفة فيه والتعرض لوظيفتها.

تعدّ اللغة وسيلة تواصل بين الأفراد، فهي تميز الإنسان عن غيره، فهو يفكر بها، يتحدثها، ويكتبها وكل ذلك في سياقات كثيرة ومختلفة، تتطلب أن يكون المتكلم مخاطبا، محاجبا، مدافعا عن لبنات أفكاره، مستخدما في خطابه آليات إقناعية، بغية إيصال الأفكار إلى المخاطب للتأثير فيه واستئثاره وجدانيا، فكريا، وسلوكيا، وتتجسد الوظيفة التواصلية الأساسية للغة في الحجاج، من خلال نقل مدركات ومفاهيم المحاجج إلى المتلقي، فهو يتواصل معه لتغيير آرائه ومعتقداته، وإقناعه بوجهات نظره، فتكون اللغة بذلك وسيلة لاستدراج المتلقي، وربطه دائما بالقضية الحجاجية بدءا بالمقدمات وصولا إلى النتائج، بغية إقناعه بمصدقية القضية، وهذا ما يميلنا إلى الدور الفعال الذي تلعبه اللغة بكل وحداتها اللسانية في استمالة المتلقي والتأثير فيه. جاءت هذه الدراسة لإزالة اللثام عن إشكالية مفادها ماهي الآليات اللسانية التي يُعتمد عليها في فك شفرات الخطاب الحجاجي واستنطاق كنه وفيما تتجلى وظيفتها؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية كان لزاما منا انتهاز كل من المنهج الوصفي وآلية التحليل لما يقدمانه من تقنيات تساعد على الكشف عن الآليات الإقناعية اللسانية الموظفة فيه والتي يستعملها المرسل لاستمالة المتلقي.

سننتقى الكلمات المفتاحية لننتقل منها مباشرة لاستنطاق الآليات الإقناعية الموظفة لاستمالة

المتلقي:

أولا- مفهوم الخطاب الحجاجي:<sup>1</sup>

الخطاب الحجاجي مركب وصفي لا يتحدد مفهومه إلا بالنظر في مفهوم لفظيه (الخطاب) و (الحجاج)، لذا ينبغي أن تفكك مفهومه أولا وأن نعرف كلا منها على حدة، لنستصفي سببته العامة، علما توقعنا على قدرة كل منها الدلالية وتأثيره في المفهوم الآخر، بما نرجو أن يتجلى في نهاية الأمر في مفهوم منضبط وواضح للخطاب الحجاجي.

نتوقف عند مفهوم الخطاب كما ورد في معاجم اللغة وفي حقول المعرفة بمفاهيم متعددة، يستوي في ذلك الثقافة العربية قديما والثقافة الغربية حديثا، وقد تفاوتت التعريفات لتفاوت النظرات المنبثقة من الخلفيات المتنوعة، والوجهات المتعددة وهو ما سنحاول تفصيله:

1- عند العرب:

ورد لفظ الخطاب في الثقافة العربية، في عدة مواضع، إذا ورد في القرآن الكريم بصيغ متعددة منها: صيغة الفعل في قوله تعالى: " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما"<sup>2</sup> والمصدر في قوله تعالى " رب السماوات والأرض لا يملكون منه خطابا"<sup>3</sup>، وجاءت بإضافة شيء جديد وهو النفوذ والسلطة في قوله تعالى " وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب"<sup>4</sup>عبارة "فصل الخطاب تشرح بمعنى الحجاج والإقناع والقدرة على ممارستها"<sup>5</sup>

فقد عرفه الأمدي بأنه " اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه"<sup>6</sup> أنه يعرّف بأنه " مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان (...). والمخاطبة مفاعلة من الخطاب"<sup>7</sup> نستشف من هذا التعريف على أنّ الخطاب يدل بمنطوقه تارة على سمة التفاعل التي هي وليدة الكلام المفيد الذي ينجم عنه الإفهام فيحدث عن مجملها " سمة تخاطبية وهي التفاعل والتي تحقق وظيفة من وظائف اللغة هي الوظيفة التفاعلية، إذن لا تفاعل دون خطاب، ولا خطاب دون تفاعل، فالتفاعل إجراء والخطاب ممارسة ونتيجة، بيد أنه لا ينفك أي منها عن الآخر مما يرقى بالعلاقة بينهما فتتواءم وترد في سياق واحد"<sup>8</sup>

وعليه يمكن أن نقول إن التفاعل لا يحدث إلا بين ذاتين «فالتداوت سمة من سمات الخطاب ناتجة عن سمة " التفاعل"، إذ تسهم كلّ ذات في عملية تفاعلية تراوح بين إنتاج الخطاب وتأويله، فالمخاطب هو من يصوغ الخطاب مستثمراً نظامه الأساس "اللغة" في حين يؤوّله المخاطب، وبما أنّ عملية " التفاعل" تستلزم " التداوت" فإنها تتمثل باعتبار الذات، فتعملها ولا تمهلها وفق قواعد التعاون في الخطاب، وتهذيبه بالتأدّب على اختلاف درجاته"<sup>9</sup> «إذن فاستمرارية الخطاب بين المخاطب والمخاطب تقتضي أن يكون الحوار بينهما بناء بعيداً عن لغة التعصب والإجبار.

كما أنّ الخطاب لا يحدث إلا في زمان محدد ومكان معين، " فاجتماع الذات بما تحمله من صفات، وما تتخلق به من سمات في زمان التخاطب ومكانه تشكل سياقاً يضمّهما فتصبح أبعاداً يؤثر كل منها في صيرورة الخطاب وعليه فلا خطاب دون سياق، فالسياق سمة خطابية. وتستلزم سمة " السياقية" سمة أخرى هي " الحركة" بما تدل عليه من تفاعل الذات، واعتبارها، واعتبار الزمان والمكان، وغيرها من الأبعاد وفي هذه النقطة يقول أحمد المتوكل: " أنّ الخطاب نموذج حركي ذو مراحل مختلفة تقتضي كل مرحلة منها من المعلومات ما لا تقتضيه المراحل الأخرى"<sup>10</sup> فهذه الحركية تندرج في جميع فعاليات الخطاب، فتؤدّي إلى تقلب أحوال الخطاب وتنوع صيغته مما يؤدي إلى "تباين درجات معناه بين المطابقة الحرفية تارة، والمفارقة تارة"<sup>11</sup>

إذن بعد التعرض لمفاهيم الخطاب المتنوعة عند العرب يمكن أن نستخلص سماته الكليّة في هذه المعادلة: الخطاب = كلام " أو ملفوظ " + هدفه الإفهام والإفادة + فيحدث التفاعل بين الذات الفاعلة فيه + وهذا التفاعل يحدث في سياق يضمّه + فتتولد عنه حركية الخطاب.

2- عند العرب:

فمفهوم الخطاب في الدراسات الغربية قد نال التعدد والتنوع، بتأثير الدراسات التي أجراها الباحثون، حسب اتجاهي الدراسات اللغوية الشكلية والدراسات التواصلية<sup>12</sup> وهذا تبريرنا لتقلّب مناهج الدراسات الشكلية والدراسات التواصلية التي عنيت بالخطاب، فاعتراه التباين، وبالرغم من هذا التباين إلا أنه لا يخرج على "أحد مفهومين، يتفق في أحدهما مع ما ورد قديماً عند العرب، أمّا في المفهوم الآخر

فيتمس بجدته في الدرس اللغوي الحديث وهذان المفهومان هما:  
الأول: أنه ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير، بإفهامه قصدا معينا.

الأخر: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة<sup>13</sup> فالمفهوم الأول وظيفتي نعني به الملفوظ الذي يوجهه المخاطب إلى غيره وهنا يمكن التساؤل بغية ماذا يوجهه إلى غيره؟ بغية إفهامه قصدا معينا، أما المفهوم الثاني فهو مفهوم شكلي يعنى بالمظهر الخارجي اللغوي الذي يتجاوز حدود الجملة وهذا المفهوم هو المفهوم الغالب في الدراسات اللغوية الحديثة.

وعرضت ديوراشيفرن ثلاثة تعريفات للخطاب جامعة للتباين الناجم عن تعدد مناهج الدراسات اللغوية حيث يرد "بوصفه أكبر من الجملة، أو بوصفه استعمالا أي وحدة لغوية، أو بوصفه الملفوظ"<sup>14</sup> ونسبت كل تعريف إلى منهجه، فوجدت أن الخطاب في أحد تعريفاته هو تلك الوحدة الأكبر من الجملة وهنا تتجسد رؤية المنهج الشكلي "عندما تتجه عناية الباحث إلى بنية الخطاب الداخلية تركيبيا وداليا بعناصر انسجام عناصره، وترابطها، وتحليل تراكيبه، وتحديد علاقة وحداته بعضها ببعض، بل تناسبها وذلك على مستوى بنيتها المنجزة"<sup>15</sup> في حين نجد في تعريفها الثاني الذي يجسد الاتجاه الوظيفي و الذي يتجاوز فيه الباحث الوصف الشكلي فلا يقف عند هذا الوصف ولا يكتفي بالاختصار على بيان علاقة وحدات الخطاب بعضها ببعض، وتحليلها، بل يوسع عمله فإلتفت إلى الاعتناء بإسهام عناصر السياق الخارجية في إنتاج الخطاب وفي تأويله، للوقوف على مدى توظيفها وحضورها، مثل دور العلاقة بين طرفي الخطاب، ودرجاتها الاجتماعية، وطرقهم المعتادة في إنتاج خطاباتهم، ويكشف هذا التعريف عن كفيّة تحقيق بعض الوظائف اللغوية التي يستطيع الإنسان أن يعبر بها عن مقاصده ويحقق أهدافه، مثل الوظيفة التفاعلية، والوظيفة التعميلية، مما يبرز العلاقة المتبادلة بين نظام اللغة وسياق استعمالها، باستمرار مستويات نظام اللغة كافة، فحين يمثل التعريف الثالث "نقطة التقاطع بين المنهجين السابقين أي بين البنية والوظيفة"<sup>16</sup> فهو يتحلل من سطوة الشكل من جهة، كما يبقى على اعتبار السياق وتحقيق الفائدة من جهة أخرى ومن البين أنّ هذا التعريف لا يتسق مع مفهوم الخطاب وفق المنهج الشكلي، أي بوصفه " ما يزيد عن الجملة، كما يعدل به كونه تراكما من الوحدات اللغوية الصغرى التي لا سياق لها، إلى كونه مجموعة من وحدات ذات سياقات تلقّضية خاصة بها،.....أي إنّ الخطاب هو ملفوظات سياقية قد تقلّ وقد تكثر، وعليه فسمّة السياقية هي السّمّة الجوهرية التي تكشف عن مبررات إيراد الخطاب في نظم معين، كما تسهم في تحديد معانيه وأهدافه"<sup>17</sup>. إذن هناك سمات أفرزتها التعريفات السابقة، يمكن زدها في مجملها إلى ثلاثة قوالب، هي: قالب السمات " السياقية، اللغوية، المنطقية" فتنطوي تحتها علامات تتجلى في الخطاب تدلّ كلّ منها على ما يثوي وراءها من خلفيات، تقود إلى معرفة كيفية اشتغالها عند إنتاج الخطاب وتأويله.<sup>18</sup>

وهنا نحدو حدوّ طه عبد الرحمان في تعريفه للخطاب وبأنه "كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا"<sup>19</sup> وهذا الخطاب يمتاز "بكونه خطابا مبنيا وموجها وهادفا، مبنيا بناء استدلال، يتم اللجوء فيه إلى الحجة والاستدلال والمنطق والعقل، وموجها مسبقا بطوروف تداولية تدعو إلى إكراهات قولية أو اجتماعية ثقافية أو علمية أو عملية أو سياسية، تتطلّب الدفاع عن الرأي والانتصار لفكرة، وتتطلّب نقاشا حجاجيا يلامس الحياة الاجتماعية، لهدف تعديل فكرة أو نقل أطروحة أو جلب اعتقاد أو دفع انتقاد"<sup>20</sup>

وهذا المفهوم الأخير يميلنا للانتقال من مفهوم "الخطاب" إلى مفهوم "الحجاج" بعرضه عرضا يجلي سمته الجوهرية لنقف بعده مباشرة على المفهوم الدقيق للخطاب الحجاجي وأهم خصائصه التي تميزه عن غيره من الخطابات:

### 3- مفهوم الحجاج:

من المؤكد أن المرء لا يتوسل بالحجاج ولا يعتمد عليه إلا بغرض تحقيق الإقناع، فليس هناك حجاج مجاني بلا غاية وقصد، فحين نهض للدفاع عن قضية أو أطروحة ما، أو نسعى إلى تفويض ودحض أخرى، فإن محاولتنا هذه تترافق مع رغبة التأثير في المتلقي، بحمله على قبول ما نرضيه، أو صرفه عن قبول ما نرفضه وتبرأ منه، وهذا الطرح يتقاطع مع تعريف الحجاج باعتباره طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة<sup>21</sup> ويحدث ذلك إذا اتبج المرسل في خطابه طريقة تمكنه من الوصول إلى عقل المتلقي فيصدق كل ما يقوله بدرجة تؤدي به إلى الإقتناع الجازم وتحقيق هذا الهدف والقصد هو ما نرمي إلى تحقيقه من وراء كل حجاج بمعنى أن "إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج"<sup>22</sup> وليحقق الحجاج مراميه على أكمل وجه "اختزل بموجبه في كونه ظاهرة لغوية صرفة تتطلب الوقوف عند الخطاب واستكناه بنيته التركيبية والدلالية، ليس لذاتها، بل لغاية تتجاوزها نحو الوقوف على الكيفية التي يساهم بها اختيار معين للألفاظ في توجيه الخطاب والتحكم فيه. وتبعاً لذلك فإن كل خطاب هو في المقام الأول خطاب تداوتي (intersubjectif) يحضر فيه الباث والمتلقي في إطار تفاعلي (واقعي كان أو افتراضيا) مادام كل خطاب قد أنتج إما تعضيدا وتدعيا لأطروحة ما أو تفتيدا ودحضا لأطروحة مناقضة"<sup>23</sup> تشير إلى أنّ أول من أصل لهذه الفكرة هو ميخائيل باختين ونص عليها في قوله: "كل تلفظ حقيقي، مهما كانت صيغته، يتضمن دائما، بصورة أقل أو أكثر وضوحا، إعلاما عن اتفاق مع شيء ما أو رفضا لهذا الشيء."<sup>24</sup>

وهذا ما يثبت تعلق الخطاب بالحجاج فهو: "فعالية تداولية جدلية، ويرتبط أشد الارتباط بعناصر المقام، فكلمنا وقتنا على لفظ الحجاج تسارعت إلى أذهاننا دلالتة على معنى التفاعل، فهو أصل في كل تفاعل بين طرفي الخطاب"<sup>25</sup> وهذين الطرفين هما اللذان يوجهان الخطاب وعلى إثرهما

تختار الحجج وتوجه فلا يجري التفاعل إلا بين ذاتين، فتبلور سمة حجاجية تطلق عليها " التذاوت"، بما ييؤى الذات مكانة عليّة، فللكل ذات دور في الحجاج، فأحدها محاجة، والأخرى محاجة. وكلاهما حاضر في الخطاب، سواء كانت موسومة لغويًا، أم لم تكن، فتظل مرجع الحجاج وموثله. وكل ذات تنطوي على مخزون من المعارف، وجملة من الخصائص، تنعكس عند ممارسة الحجاج وتظهر، فلا تحيد كلّ ذات عن اعتبار الذات الأخرى، بأن تدرك خصائصها المعرفية، وأوصافها الاجتماعية، مما يلزم عنه استحضارها دوماً عند سوق الأدلة، بما يتناسب معها وصياغة ذلك في الحجاج إما بالنص عليها، وإما بافتراضها استباقاً لمنع، أو دفعا لدحض. هنا لا تنفك هذه السمة عن فاعلية التلقظ مقيدة بزمان محدد ومكان معين. وهما يكونان أبعادا سياقية بإضافتهما إلى ذوات الحجاج، فتغدو " السياقية" سمة من سمات الحجاج أيضا.<sup>26</sup>

إذن يمكن أن نقول إن الحجاج لا يمكن ممارسته إلا من خلال الخطاب، فالحجاج ملازم له ونخرج بمفهوم شامل للخطاب الحجاجي وتبني التعريف الذي قدمه طه عبد الرحمان حيث كان ملتما بخصائصه التي يقوم عليها بشكل دقيق: " كل منطوق موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها. وهكذا يتضح أنّ حقيقة الخطاب ليست هي مجرد الدخول في علاقة مع الغير، وإنما هي الدخول معه على مقتضى الادعاء والاعتراض، بمعنى أنّ الذي يحدّد ماهية الخطاب إنما هو " العلاقة الاستدلالية" وليس العلاقة التخاطبية وحدها: فلا خطاب بلا حجاج، ولا مخاطب (بكسر الطاء) من غير أن تكون له وظيفة " المدعي" ولا مخاطب (بفتح الطاء) من غير أن يكون له وظيفة " المعترض"<sup>27</sup> سنفحص الخطاب الحجاجي للكواكبي من خلال مدونة طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ولا يمكن أن نكتفي بظاهر الخطاب المنجز، بل لابد من معرفة شخصيّة الكواكبي ذاتها والظروف التي عايشها والتي ساهمت في تكوينه وانعكست على خطابه، فهماي الظروف التي عايشها الكواكبي وساهمت في تكوينه وصقل خطابه بسما تمتاز عن غيره؟

ثانيا: قراءة في التكوين الحجاجي للكواكبي وفي منطلقات مضامين كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد:

مما لا شك فيه أنّ " العمل صورة لصاحبه، ولا يندّ الخطاب عن هذا الحكم بوصفه عملا. فذات المخاطب سمة تميّز خطابه عن خطابات مائة أو مائة، فيغدو الخطاب سمة شخصيّة تبلور في ظاهره وفي باطنه"<sup>28</sup> ولفحص خطاب الكواكبي حزبي بنا أن نبتدى بتكوينه الذي سوف يسهم في إزالة الستار والكشف عما يتضمنه ويثويّه خطابه من آليات لسانية صبغت خطابه وتجلت في مواقفه وفي معالجته للعديد من القضايا. فمن هو الكواكبي؟

" الكواكبي (1849م، 1902م) مفكر وعلامة سوري رائد من رواد التعليم ومن رواد الحركة الإصلاحية العربية وكاتب ومؤلف ومحامي وفتية شهير"<sup>29</sup> ينتسب لأسرة حلبية عريقة في حلب وتلقى

تعليمه فيها كما يتعلم أبناء عصره في مدرسة الأسرة (المدرسة الكواكبية) بحفظ القرآن وتعلم اللغة والدين والفقه، ولميل في نفسه للمعلومات الدقيقة، اهتم الكواكبي بدراسة الرياضيات والعلوم الطبيعية وعند بلوغه سن المراهقة رحل إلى أنطاكية لإكمال تعليمه وكان يتقن إلى جانب اللغة العربية اللغتين التركية والفارسية، وقد كان لتنوع ثقافته ثراء كبير في فكره السياسي والديني<sup>30</sup>. وقد أسس عدة جرائد سلكت مسلكا حرا في معالجة القضايا العامة والتنديد بالظلم والطغيان والدفاع عن حقوق الضعفاء أولها الجريدة الرسمية الفرات، وقد شعر أنّ العمل في صحيفة رسمية يعرقل طموحاته في تنوير العامة، وتزويدها بالأخبار الصحيحة، فالصحف الرسمية لم تكن إلا خادمة لمطالب السلطة، واتجه إلى تأسيس صحيفة خاصة باسم صديقه أطلق عليها اسم الشهباء والتي لم تستمر طويلا، ثم أسس الاعتدال، وتعطلت هي الأخرى فالسلطة لم تستطع تحمل جرأته في النقد، بعد تعطل هاتين الصحيفتين الواحدة تلو الأخرى لسلوكهما مسلكا حرا في معالجة القضايا، انكب على دراسة الحقوق حتى برع فيها، ومكّنه ذلك من تقلد عدة مناصب فشغل منصب عضو فخري في لجنة امتحان المحامين، وكذا عين قاضيا شرعيا في إحدى قرى الجزيرة قرب الفرات وكان المغزى من تعيينه إبعاده عن حلب التي قضى فيها معظم حياته.

وبعد أن أحس أن السلطة تقف في وجه طموحاته، انصرف إلى العمل بعيدا عنها، فاتخذ مكتبا للمحاماة، كان يستقبل فيه سائر الفئات، ويحصل حقوق المتظلمين عند المراجع العليا، وقد كان يؤدي عمله في معظم الأحيان دون أي مقابل مادي حتى اشتهر بـ "أي الضعفاء".

فقد أبقن الكواكبي أنّه لا يمكن القيام بأي إصلاح في نظام الحكم الاستبدادي لذا قرر مغادرة حلب متجها إلى مصر هروبا من الظلم والاستبداد الذي عرفته البلاد في عهد السلطان "عبد الحميد الثاني"، كما أنه غادر مصر، متوجها إلى السودان فالحبشة ثم سواحل افريقيا الشرقية حتى جزيرة زنجبار، ثم سواحل آسيا الغربية حتى بلاد الهند مارا بجنوب الجزيرة العربية وعند العودة، اتجه نحو مكة المكرمة في موسم الحج وقد زار كذلك شبه الجزيرة العربية وهذا في رحلتين منفصلتين، تمكن من خلاصها على الاطلاع على أوضاع المسلمين، بالاتصال بأهلها وشخصياتها العلمية والدينية، وهذا ما زاد في تعميق ثقافة الكواكبي وثرأ فكره والذي يظهر جليا في انتاجه الذي يتميز بالعمق والالتزان الواقعية، لأنّ هذه الرحلات كانت بمثابة البحث الميداني في أحوال المسلمين وجمع المادة اللازمة لإنجاز أعماله من خلال المعلومات التي كان يدونها<sup>31</sup>.

"أمضى الكواكبي حياته مسلحا وداعيا إلى النهوض والتقدم بالأمة العربية في خطابه، داعيا المسلمين لتحرير عقولهم من الخرافات مستعملا الحجة الدامغة لإنارة عقولهم، وقد قسم الأخلاق إلى فرعين، فرع أخلاقي يخدم الحاكم المطلق وفرع يعخدم الرعية أو المحكومين ودعا الحكام إلى التحلي بمكارم الأخلاق لأنهم الموجهون للبشر"<sup>32</sup>، محملا بذلك الحكومة التركية المستبدة مسؤولية الرعية. كما أنّه ألف العديد من الكتب إلى جانب طبائع الاستبداد منها "أم القرى، كما ألف العظمة

لله وصحائف قريش، وقد فقد مخطوطان مع جملة أوراقه ومذكراته ليلة وفاته<sup>33</sup> وما ينبغي الإشارة إليه أن كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد كان خلاصة بحث وتفكير مدة 30 عاما كما ذكر في مقدمة كتابه.

وقد دفع الكواكبي الثمن غالبا سيما على كتاب طبائع الاستبداد حيث توفي في القاهرة "متأثراً بسم دس له في فنجان القهوة عام 1320هـ الموافق 1902م، حيث دفن فيها، رثاه كبار رجال الفكر والشعر ونقش على قبره بيتان لحافظ إبراهيم:

هنا رجل الدنيا هنا محبط التقى  
هنا خير مظلوم هنا خير كاتب  
قفوا وأقرؤوا أم الكتاب وسلموا  
عليه فهذا القبر قبر الكواكبي<sup>34</sup>"

2-1 قراءة في المنطلقات والمضامين الفكرية العامة وأهم تصوراتها في فحوى كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد:

"كان الكواكبي موسوعي الاطلاع على الكتب التي حفلت بها " المكتبة الكواكبية" لا سيما التاريخ والاجتماع والفلسفة والسياسة واللغة والأدب، وقد انعكست هذه الموسوعية على كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد " فأتى عميقا في معناه ومبناه، قويا في حجته، شاملا في طرحه، واضحا جليا في مساره، ناصعا في برهانه، سلسا في منطقته، وكأن الكواكبي قد كتبه للأيام التي جاءت بعده، والتي نعيشها الآن، والتي ستعقب عيشنا هذا"<sup>35</sup> وهذا ما يجعل الكتاب في موضوعه ولغته سيظل يقرأ إلى قيام الساعة. فلا الاستبداد سموت كاملا، ولا الحاجة إلى مقاومته ستستخدم أبدا وهذا ما خطه الكواكبي في كتابه وهو يعبر عن حال المشرق الإسلامي بدمه وعقله ووجدانه من وحي ما قرأ وطالع، وما عاش وخبر، وما سمع ووعى، سطورا مسبوكة عميقة، كل جملة فيها وحدة كاملة للمعنى بها رأي شديد أو حكمة سابعة أو طلب مؤثر أو دعوة أسرة، تتواجد في معاني وحكم ومؤثرات وصرخات وأمثلة ونماذج وأقوال مصنوعة بعناية ومنحوتة بروية مشخصة أصل الداء الدافين ودواؤه الثمين، فالكتاب " عبارة عن مجموعة من المقالات في نقد الحكم الاستبدادي كان قد نشرها في الصحف المصرية ثم جمعها فيه، ويبدو فيه متأثرا بالفكر الأوروبي الحديث وخاصة بمونتسكيو في كتابه " روح القوانين" الذي ترجم إلى اللغة العربية في ذلك الوقت"<sup>36</sup> استهل كتابه بتعريف جامع مانع للاستبداد، ثم تعقب آثاره وانعكاساته في مجالات متعددة فخصص مقالات وهي على التوالي:

الاستبداد والدين، الاستبداد والعلم، الاستبداد والمجد، الاستبداد والمال، الاستبداد والأخلاق، الاستبداد والتربية، الاستبداد والترقي، وكذا تأثير كل هذا على رعية المستبد، ثم يختم بوضع مقترح للتخلص من هذا الداء العضال وإيجاد الترياق له وسماه بـ " الاستبداد والتخلص منه" ليخرج بحلول لاقتلاع هذا الداء الدافين تنفع كل من الزاعي الذي يريد أن يتجنب الوقوع في فخ الاستبداد مع رعيته، وتزود الرعية بطرق مقاومة ومناهضة ومناقضة المستبدين للتطلع للعيش في غد أفضل.



سأطرح رحالي مباشرة للتعرض إلى آليات الإقناع اللسانية الموظفة في المدونة واستنطاقها مباشرة من المدونة:

ثالثاً: الآليات اللسانية في طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد:

يلجأ المرسل إلى انتهاز آليات إقناعية متعددة بغية تحقيق الوظيفة الجوهرية والأساسية التي أقام من أجلها الحجاج وهي إقناع المتلقي والتأثير فيه، وهذه الآليات تتفاعل بأنماطها المختلفة وتوظف انطلاقاً من جملة اعتبارات تتعلق " بمقاصد المتكلم، وبطبيعة المتلقي، وكذا اللغة المدرجة في الحجاج، فهي المعين الذي تتجسد من خلاله عملية الربط بين المقدمات والحجج والنتائج الحجاجية، كما تضطلع بدور أساسي في عملية الإقناع"<sup>37</sup> فكل نوع من هذه الآليات يضيء " صورته وهيئته البنائية والدور الخاص الذي يشغله في تلك الوظيفة العامة"<sup>38</sup> والتي تتمثل في الوظيفة الإقناعية- وسنركز على معالجة الآليات اللسانية على حدى دون غيرها من الآليات قصد التمهيد في تبيان الدور الخاص الذي تلعبه في استمالة المتلقي إلى دعوى الحجاج.

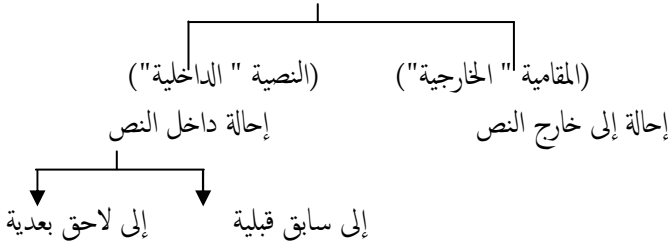
من هذه الوسائل اللسانية التي تعمل على استمالة المتلقي والتأثير فيه لتغيير وجهته وإقناعه بوجهة نظره، هي:

1- الإحالة: أدق معنى للإحالة هي الإشارة والتي " تتحدد من خلال العنصر اللغوي والسياق الوجودي أو الخارجي، ومن ثم تمثل دراسة البعد المرجعي للعلامة اللغوية، فالإحالة في أنا، أنت، هنا، تفهم في سياقها الخارجي، ولا تتحقق إلا من خلال الاستعمال، وهي تستحضر المحال إليه إلى طرفي الخطاب، ووظيفتها المقاصدية تتصل بالسياق المخصوص بها، لتوضيح غاية المتكلم، وهي من العناصر التي يفسرها السياق اللفظي والسياق الخارجي"<sup>39</sup> سواء داخل النص والخطاب أو خارجهما، مما يجعلها وسيلة من وسائل التأثير في المرسل إليه، كما تساعده على الاستعانة بقدراته الذهنية في تفكيك أجزاء الخطاب الموجه إليه، وعلى تحديد تلك الأدوات اللسانية المستعملة لإعادة ربط هذه الأجزاء، وعلى النظر في دلالتها تبعاً لمقاصد المرسل وبذلك نعتمد في فهمنا لها لا على معناها الخاص بها، بل على إسنادها إلى شيء آخر، ومن خلال هذا الإسناد تتحدد أنواع الإحالة سواء تعلق الأمر بما هو داخل الخطاب أو خارجه، أو ما تعلق بسابق أو لاحق من الأقوال"<sup>40</sup> لذا يمكن القول إن " العناصر المحيطة بها كان نوعها لا تكنفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها وتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة منها الضمائر وأسماء الإشارة...، وتعتبر الإحالة علاقة دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه."<sup>41</sup> كما تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين:<sup>42</sup>

الإحالة المقامية (أو ما يسمى بالإحالة الخارجية) والإحالة النصية (وتسمى بالإحالة الداخلية)، وتتفرع هذه الأخيرة إلى إحالة قبلية، وإحالة بعدية وقد وضع كل من هاليدي (holiday) ورقية

حسن (rugayaHassan) رسماً يوضح هذا التقسيم نسوقه كالآتي:

## الإحالة



نتوقف عند الإحالة الخارجية وتسمى بالخارجية "متى كان الشيء المحال عليه خارج النص في السياق" <sup>43</sup> وسنمثل لهذا النوع من الإحالة فيما يأتي:

## 1-1 الإحالة الخارجية:

✓ " يستعملون في مقام صفة (مستبد) كلمات: جبار، وطاغية، وحاكم بأمره، وحاكم مطلق" <sup>44</sup>  
 جبار، طاغية، حاكم بأمره، حاكم مطلق ← تحيل إلى الحاكم المستبد. ←

✓ " وأشد مراتب الاستبداد التي يتعوذ بها من الشيطان هي حكومة الفرد المطلق، الوارث للعرش، القائد للجيش، الحائز على سلطة دينية" <sup>45</sup>  
 الفرد، الوارث، القائد، الحائز ← تحيل إلى الحاكم المستبد.

✓ " يستعملون في مقام وصف الرعية (المستبد عليهم) كلمات: أسرى، ومستصغرين، وبؤساء، ومستبنتين" <sup>46</sup>

أسرى، مستصغرين، وبؤساء، مستبنتين ← تحيل إلى ← على رعية المستبد أي المستبد عليهم.

✓ " شوش الاستبداد في المسلمين تاريخ آل البيت عليهم الرضوان" <sup>47</sup>  
 شوش ← تحيل إلى ← الظروف التي خلقها الاستبداد وعمل من خلالها على تشويه الإسلام ممّا نجم عنه ظهور الفرق الشيعية.

✓ " الشرقي سريع التصديق، والغربي ينفى ولا يثبت حتى يرى ويلمس" <sup>48</sup>  
 الشرقي ← تحيلنا إلى ← الساكن بمنطقة الشرق، فقد نفهم منه الجهة والاتجاه، ولكن معناه الدقيق طبيعة الإنسان العربي المسلم الساكن بالشرق.

الغربي ← تحيلنا إلى ← الساكن بمنطقة الغرب، وكذلك قد نفهم منها الجهة والاتجاه، ولكن معناه الدقيق الإنسان المادي الغربي القاطن بالغرب.

✓ " خاطرت حتى بجياتي في درسها وتدقيقها" <sup>49</sup>

خاطرت ◀◀ تحيلنا إلى ◀ الظروف والمخاطر الصعبة التي أنشئ فيها وكتب فيها الكاتب خطابه، والتي كانت بسبب استبداد الحكام في الحكم بغية استعباد المحكوم.

تمثل الإحالة الخارجية الصورة العكسية الإشارية التي تجسد الظروف والمواقف والأحداث التي ساهمت في إنتاج الخطاب، وتظهر براعة الكواكبي في طرحه وتصويره العام لها المفتوح غير المغلق لهذه الظروف، فوسمها بطابع الشمولية والانفتاحية والاستمرارية، وأسقط ظروفه الخارجية وجعلها صالحة للدراسة في كل زمان ومكان لجدة القضايا التي طرحها فستبقى لغته محيطة بالظروف التي عاشها الإنسان ويعايشها إلى قيام الساعة. فلا الاستبداد سيندر، ولا الحاجة إلى مقاومته ستخمد، فكل الإحالات الخارجية تصور أوصاف المستبد ورعيته المغلوب على أمرهم، فتستحوذ على ذهن المتلقي وتعطي العنان لخييلته ليطمح لأن يعيش حراً أياً، ليتحرك ويواجه هذا الداء الدافين، وهذا هو المقصد من وراء خطابه الحجاجي.

#### 1- 2 الإحالة الداخلية:

" ومتى كان الشيء المحال عليه داخل النص فديننا علاقة تسمى داخلية وهي تلعب دوراً في تماسك أجزاء النص"<sup>50</sup> وتضمن ربط المتلقي بكل ما ورد من سابق وسيرد من لاحق في الخطاب، فتجذب انتباهه وتستحوذ على تفكيره وتركيزه متمعنا في جزئيات النص وعلاقات التي تجمع السابق باللاحق " وتنقسم العلاقات الداخلية بدورها إلى قسمين: بعضها ما يلتفت إلى الوراء أي إلى ما سبق في النص حتى يفهم ويسميا هاليداي (holiday) ورقية حسن (rugaya Hassan) علاقات إحالة إلى الوراء، وبعضها يلتفت إلى الأمام، أي ما يلحق في النص حتى يفهم وتسمى إحالة إلى الأمام"<sup>51</sup> ولتظهر هذه الإحالة في طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد مظاهر متعددة، تأتي على ذكرها مع تحديد ما تشير إليه وهي:

#### 1-2-1 الضمير المتصل: من أمثلته:

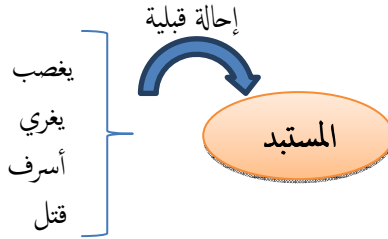
✓ " يا قوم: رفع الله عنكم المكروه، ما هذا التفاوت بين أفرادكم وقد خلقكم ربكم أكفاء في البنية، أكفاء في القوة، أكفاء في الطبيعة، أكفاء في الحاجات، لا يفضل بعضكم بعضاً إلا بالفضيلة، لا ربوبية بينكم ولا عبودية؟ والله، ليس بين صغيركم وكبيركم غير برزخ من الوهم"<sup>52</sup>

إحالة قبلية

القوم → { عنكم (كم)، أفرادكم (كم)، خلقكم (كم)، ربكم (كم)، بينكم (كم)، بعضكم (كم).  
صغيركم (كم)، كبيركم (كم).

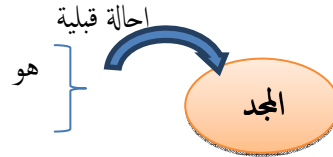
## 1- 2- 2 الضمير المستبد: من أمثلته

" العوام هم قوة المستبد وقوته، (.....)، يأسرهم فيتهللون لشوكته، ويفضب..... أموالهم فيحمدونه على إبقاء حياتهم، ويهينهم فيثنون على رفعتهم، ويغري.....على بعض فيفتخرون بسياسته، وإذا أسرف..... في أموالهم يقولون كريما، وإذا قتل..... منهم لم يمثل يعتبرونه رحيا، ويسوقهم إلى خطر الموت، فيطيعونه حذر التوبيخ"<sup>53</sup>



## 1- 2- 3 الضمير المنفصل: من أمثلته:

✓ " المجد: هو إحراز المرء مقام حب واحترام في القلوب"<sup>54</sup>



✓ " وهو الخلاق العظيم"<sup>55</sup>

هو ← إحالة بعدية ← الخلاق.

✓ " الخصال الاعتيادية، وهي ما يكتسبه الإنسان بالوراثة أو بالتربية أو بالإلفة"<sup>56</sup>



نستشف أن معظم الإحالات في الأمثلة الواردة الخاصة بالضمير هي إحالات قبلية وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على أنّ المخاطب استهلّ عملته الحجاجية "عرض للقضية الحجاجية أولا، ثم يبدأ بتفصيلها والاحتجاج لها"<sup>57</sup> وهذا من شأنه أن يجذب المتلقي للقضية أكثر فيولي لها اهتمام فينصت لها مستعدا ومجددا كل قدراته الادراكية والتركيزية بحكم درايته المسبقة بموضوع القضية، ويبني على منوال

السابق ما سيذكر في اللاحق وهذه الإحالات تجعل المتلقي يقظ، فيكون بذلك على علم بكل تفاصيل القضية.

1- 2- 4 أسماء الإشارة:

✓ " من دلائل أولئك الأكبر مغزرون مخادعون يظهرون ما لا يطنون"<sup>58</sup>

أولئك ← إحالة بعدية ← الأكبر

✓ " فانظر أيا الصغير المكبر الحقير الموقر كيف تعيش معنا"<sup>59</sup>

أيها ← إحالة بعدية ← الصغير

✓ " فبناء على هذا المثال"<sup>60</sup>

هذا ← إحالة قبلية ← ما سبق من مثل

✓ " ولهذا كان الاستبداد يستولي على تلك العقول الضعيفة للعامة"<sup>61</sup>

تلك ← إحالة بعدية ← العقول الضعيفة

ما نستشفه أن جلّ الإحالات البعدية بأسماء الإشارة قد نابت عن صفات غير محمودة وأوصاف دينية اتصف بها المستبد وهذه الأمثلة الماثلة أمامنا، توضح الدور الفعال الذي يلعبه اسم الإشارة ويربط المتلقي باللاحق، مسوقة بحجج ويكون بذلك اسم الإشارة آلية إقناعية يساهم في استمالة المتلقي.

1- 2- 5 لاسم الموصول:

للاسم الموصول وظيفة إحالية تساعد على إقناع المتلقي والتأثير فيه، وقد ورد استعماله بكثرة في كتاب " طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" نكتفي بذكر البعض منها:

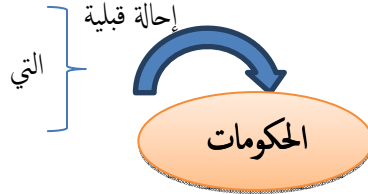
✓ " نعم، لا يقتضي أن يتساوى العالم الذي صرف زهوة حياته في تحصيل العلم النافع أو الصنعة المفيدة بذاك الجاهل النائم في ظل الحائط"<sup>62</sup>

الذي ← إحالة بعدية ← لتخصيص العالم رعيان شبابه في سبيل تحصيل العلم.

✓ " قرر الأخلاقيون أنّ الإنسان لا يكون حراً تماماً ما لم تكن له صنعة مستقل فيها"<sup>63</sup>

ما ← إحالة بعدية ← الصنعة.

✓ " الحكومات المنتظمة هي التي تتولى ملاحظة تسهيل تربية الأمة من حيث تكون في ظهور الآباء"<sup>64</sup>



من خلال الأمثلة المضروبة بالاسم الموصول يتضح أنه يعتبر هو الآخر آلية لسانية تلعب دور مهم في مجال الإحالة إلى ما قبله وإلى ما بعده.

هذه بعض الإحالات الداخلية حاولنا التفصيل فيها بالنظر إلى طبيعة المحيل سواء كان الضمير بأنواعه (متصل، مستتر، منفصل)، اسم إشارة، اسم موصول، ولتوضيح بين كل واحد منها على حدة، للوقوف على طبيعة كل محيل، وما يؤديه من وظيفة إقناعية.

وما يمكن قوله على الإحالة بنوعها من ناحية الدلالة فهي " مؤكدات لأنها مدعمة بالواقع المادي الخارجي وبالموكد اللفظي أيضا، وهي تنفيذ التأكيد والاختصار في اللفظ، لإغنائها عن ذكر المشار إليه واستحضاره في اللفظ"<sup>65</sup> وبما أنه حاضر في اللفظ فهو حاضر في ذهن المتلقي ومشغول بتأويل مقاصده والوقوف على حيثيات معانيه بغية استمالة المخاطب للمخاطب وإقناعه بدعوى الحجاج.

2- التكرار: ويسمى أيضا بالترديد والترداد"<sup>66</sup> ويضطلع بدور حجاجي هام، تتجسد في مختلف الخطابات على تنوع مواضيعها واختلاف أجناسها فهو لا يدرس ضمن الحجج والبراهين وإنما يعد رافدا أساسيا يرفد هذه الحجج أو البراهين التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، بمعنى أن التكرار يوقر لها طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقي وتساعد على نحو فعال في إقناعه أو حمله على الإذعان"<sup>67</sup> وتكمن وظيفته في " التبليغ والإفهام ويعين المتكلم ثانيا على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان فإذا ردّ المحتج لفكرة حجة ما أدركت مراميها وبانت مقاصدها ورسخت في ذهن المتلقي"<sup>68</sup> لما يلعبه من " توكيد الكلام والتشديد من أمره، وتقرير المعنى وإثباته"<sup>69</sup> وهو بذلك يعد من وسائل تدعيم المعنى، فيزيد الفهم ويجذب انتباه المرسل إليه، فتترسخ في ذهنه دعوى الحجج فيحدث الإقناع.

تنوع أشكال التكرار في كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، وتتجلى في هذه الأشكال

نوردها كالآتي:

1-2 التكرار التام: أو المحض " ويكون بتكرار اللفظ والمعنى والمرجع واحد"<sup>70</sup> ومن أمثلته:

✓ " يكون المنفذون مسؤولين لدى المشرعين، وهؤلاء مسؤولين لدى الأمة، تلك الأمة التي تعرف أنها صاحبة الشأن كله، وتعرف أن تراقب وأن تتقاضى الحساب"<sup>71</sup>

- ✓ " من أقبح أنواع الاستبداد استبداد الجهل على العلم، واستبداد النفس على العقل ويسمى استبداد المرء على نفسه"<sup>72</sup>.
- ✓ " الاستعداد للحرب يمنع الحرب"<sup>73</sup>
- ✓ " من المعلوم أن مجرد الاستعداد للفعل يفعل يكفي شر الاستعداد"<sup>74</sup>
- ✓ " ابتلاه بظلم نفسه وظلم جنسه"<sup>75</sup>
- 2-2 التكرار الجزئي: " ويكون بالاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي"<sup>76</sup> أي تكرر عنصرين اثنين أو أكثر من مادة واحدة، ومن أمثلته:
- ✓ " غير متعلق بأقاربه وقومه كل الارتباط، ولا مرتبط بينته وبلده كل التعلق"<sup>77</sup>.
- ✓ " المستبد يتجاوز الحد ما لم يرى حاجزا من حديد، فلو رأى الظالم على جنب المظلوم سيفًا، لما أقدم على الظلم"<sup>78</sup>
- ✓ " الداء: تغلب السطاة على الشريعة، والدواء: تغليب الشريعة على السلطة"<sup>79</sup>
- ✓ " وتشايك بالتاس ما استطاع، اشتياك تظالم لا اشتياك تعاون"<sup>80</sup>
- ويهدف هذا النوع من التكرار في سياقه الحجاجي على التأثير في المتلقي وذلك باستخدام علاقات لغوية من أصل جذر لساني واحد من مادة معجمية واحدة تعتمد في تأثيرها السمعي على مبدأ التجانس<sup>81</sup>
- 2-3 تكرار المعنى واللفظ مختلف: ويشمل الترادف وشبه الترادف والعبارة الموازية<sup>82</sup> ومن أمثلته على الترتيب.
- 2-3-1 الترادف: ونسميه بالترادف الكامل حيث يتطابق اللفظان تمام المطابقة، ويمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر<sup>83</sup> ومن نماذجه نسوق الأمثلة التالية:
- ✓ " حريق متواصل بالسلب والغصب"<sup>84</sup>.
- ✓ " فهم يسترهبون الناس بالتعالي الشخصي والتشامخ الحسي"<sup>85</sup>
- ✓ " كلما زاد المستبد ظلمًا واعتسافًا زاد خوفه من رعيته وحتى من حاشيته"<sup>86</sup>
- ✓ " يسرفون الأموال في الفسق والفجور"<sup>87</sup>
- ✓ " حياتكم كلها تعب ونصب"<sup>88</sup>
- 2-3-2 شبه الترادف: أو ما يسمى " بالتقارب الدلالي ويكون بين لفظتين"<sup>89</sup>.
- ✓ " أن الأقسام تشترك وتتشترك ويؤثر بعضها في بعض"<sup>90</sup>

- ✓ " قلة أهل العمل وأهل العزائم في الأشراء"<sup>91</sup>
- ✓ " السلطان الشرقي يستحلف الرعية على الإتياد والطاعة"<sup>92</sup>
- ✓ " التربية المطلوبة هي التربية المرئية على إعداد العقل للتمييز، ثم على حسن التفهم والإقناع"<sup>93</sup>
- 3-2-3 العبارة الموازية: " وتسمى بالتعبير المائل أو الجمل المترادفة، ويكون بين هذه الجمل المتوالية تشارك في المعنى"<sup>94</sup>
- ومن أمثلتها:
- ✓ " أعينكم بالله من فساد الرأي، وضياع الحزم، وفقد الثقة بالنفس، وترك الإرادة للغير"<sup>95</sup>
- ✓ "..... وجودكم رقودا لا تشعرون سلبوا أموالكم، وزاحمكم على أرضكم، وتحبلوا على تذليلكم وأوثقوا رباطكم، واتخذوكم أنعاما، وعندئذ لو أردتم حراكا لا تقوون، بل تجدون القبود مشدودة والأبواب مسدودة"<sup>96</sup>.
- ✓ " يا قوم ألهمكم الله الرشد، متى تستقيم قاماتكم وترتفع من الأرض إلى السماء أنظاركم، وتميل إلى التعالى نفوسكم"<sup>97</sup>
- ✓ " الذين اجتمع فيهم داء الاستبداد والتواكل فجعلاهما آلة تُدار ولا تدير، أسألكم عفوهم من العتاب والملام، لأنهم مرضى مبتلون، مقتلون بالقبود، ملحمون بالحديد"<sup>98</sup>
- من خلال التمعن في الأمثلة أعلاه بين العبارات الموازية، يتضح لنا أن الجمل الواردة في الأخير تكون أعم وأقوى في دلالتها من الجمل الوارد في الأول، والتي تشترك جميعا في المعنى العام وهذا من شأنه أن يؤدي إلى دفع المعنى إلى مستوى أقوى وهذا ما يزيد في الفاعلية الإقناعية لهذه الآلية في استمالة المتلقي وإقناعه بدعوى الحجاج.
- 3- التوازن: " الازدواج":
- فهو آلية إقناعية تهدف إلى تحريك وجدان وشعور المتلقي وهذا يعود في حقيقة الأمر إلى بنية إيقاعية جوهرية ذات تأثير سمعي وعاطفي في المستمع<sup>99</sup> وتتحقق بنية التوازن إذا توافرت فيه الوحدات اللغوية الأربعة المشكلة له، من حيث توازن عدد الوحدات وأوزانها وهيئة ترتيبها وفواصلها "علما أن هذا التوازن أو الاتفاق قد يكون تاما أو ناقصا أو منعدما بين الوحدات اللغوية المشكلة للخطاب الحجاجي، تبعا لاستخدامات المرسل لها، ومراعاة لمقاصده الحجاجية التي يود توجيهها حين مخاطبة فكر ومشاعر المرسل إليه"<sup>100</sup> ومثل لها من المدونة كآتي:
- ✓ " ألم لا يفتر، وصال لا يرحم، وقصة سوء لا تنتهي"<sup>101</sup>
- ✓ " الحقوق وكف تحفظ، والظلم وكف يرفع، والإنسانية وماهي وظائفها، والرحمة وماهي لذاتها"<sup>102</sup>



- ✓ " أهم ترضعهم لبن جهازاتها، وتغذهم بثمراتها، وتأومهم في حضن أحزائها" <sup>103</sup>
- ✓ " تقتضي الإنسانية أن يأخذ الراقي بيد السافل، فيقره من منزلته، ويقاربه في معيشته، ويعينه على الاستقلال في حياته." <sup>104</sup>
- ✓ بل رتقوا فتوق الدهر في دينهم بما فحوا، وهذبوا، وسهلوا، وقربوا، حتى جددوه، وجعلوه صالحا لتجديد خليق أخلاق الأمة" <sup>105</sup>
- ✓ مرضى مبتلون، مثقلون بالقيود، ملجمون بالحديد" <sup>106</sup>

المأمل فيما سبق يجد أننا قد اعتمدنا التفصيل في كل آلية على حدى لتبيان الوظيفة التي تلعبها بشكل دقيق، ولكن هذا التفصيل والتخصيص في كل آلية على حدة لا نكر من خلاله طبيعة أن تأتي كل الآليات باستعمالها المختلفة مجتمعة ومتضاربة في المثال الواحد، وبطبيعة الحال هذا التكثيف في التداول يزيد من نسبة الإقناع، وهذا المثال يوضح تجمع واتحاد هذه الآليات:

أسراء الاستبداد حتى الأغنياء منهم كلهم مساكين لا حراك فيهم،

إحالة خارجية      إحالة داخلية

يعيشون منحنين في الإدراك، منحنين في الإحساس، منحنين في الأخلاق      عبارة موازية

تكرار تام      تكرار تام      تكرار تام

وما أظلم توجيه اللوم عليهم بغير لسان الرأفة والإرشاد، وقد أبدع من شبه حالتهم بدود تحت

إحالة داخلية      إحالة داخلية

صخرة، فما أليق باللائمين أن يكونوا مشفقين يسعون في رفع الصخر ولو حتى بالأظافر

ذرة بعد ذرة.      توازن

تكرار تام

بعد استنطاق الآليات اللسانية التي يثويها خطاب الكواكبي بكثرة - الإحالة بنوعها، التكرار، التوازن- وتحديد وظيفتها الفعالة في استدراج واستمالة المتلقي للقضايا المطروحة وربطه بدعوى الحجاج ولا يتأتى له ذلك إلا من خلال شد انتباهه والاستحواذ على تركيزه بواسطة الاستعمال الجيد لهذه الآليات فليس كل استعمال الهدف منه الإقناع، فالربط المحكم بين تمفصلات وجزئيات الخطاب بالاستعمال المكثف لهذه الآليات من شأنه تأكيد فكرة على مسامع المتلقي فتستهي أذنه فنترسخ في ذهنه وتتوغل في فكره وتتلاعب على نغمات وجدانه إذن هذا التكثيف المستمر والمتنوع للآليات الإقناعية اللسانية من شأنها " أن تساعد على توجيه المتلقي واستحضاره ذهنيا....، كما تساعد على ترتيب المعاني المقصودة دون غيرها لإقناعه بالنتائج الحجاجية" <sup>107</sup> فهذه الآليات اللسانية تتضافر من نواحي متعددة لتحقيق نتيجة مفادها إقناع المتلقي واستمالاته للقضية التي قام من أجلها الحجاج.

## الهوامش والمراجع:

- 1 عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقارنة تداولية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص: 40.
- 2 سورة الفرقان، الآية 25.
- 3 سورة النبأ، الآية 78.
- 4 سورة ص، الآية 20.
- 5 عبد العالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أمودجا ( دراسة تحليلية)، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015، ص: 113.
- 6 علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1987، ج1، ص: 136.
- 7 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2000، ص: 275 ( مادة خطب).
- 8 عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، ص: 41، 42.
- 9 المرجع نفسه، ص: 42.
- 10 أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية " بنية الخطاب من الجملة إلى النص"، دار الأمان، الرباط، 2001م، ص: 51.
- 11 عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، ص: 43.
- 12 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 36.
- 13 المرجع نفسه، ص: 37.
- 14 Deborah Schiffrin: Approache to discourse. Blackwell; Oxford ; UK ; Cambridge ; USA. 1994 P:23/ 24.
- 15 عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، ص: 46.
- 16 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 38.
- 17 عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، ص: 48.
- 18 ينظر: المرجع نفسه، ص: 50.
- 19 طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص: 215.
- 20 المرجع نفسه، ص: 226.

- 21 عبد القادر ملوك، حجاجية الصورة الإشهارية، ضمن مؤلف الحجاج اللغوي، قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر الغزاوي، تنسيق الدكتور حسن مسكين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2017، ص: 100.
- 22 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 456.
- 23 عبد القادر ملوك، حجاجية الصورة الإشهارية، ص: 100.
- 24 نقلا عن: المرجع نفسه، ص: 100.
- 25 بلقاسم دفة، استراتيجيات الخطاب الحجاجي ( دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية)، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 10، 2014م، ص: 497.
- 26 ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، ص: 57.
- 27 طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص: 226.
- 28 عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، ص: 69.
- 29 عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم عمار علي حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2013، ص: 183.
- 30 عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم محمد خالد، موف للنشر، 1991م، ( تقديم VLLL).
- 31 ينظر: المرجع نفسه (تقديم LX).
- 32 عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم عمار علي حسن، ص: 175.
- 33 المرجع نفسه، ص: 176.
- 34 المرجع نفسه، ص: 176.
- 35 المرجع نفسه، ص: 14.
- 36 عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم محمد خالد، ( تقديم XL).
- 37 حمدي جودي منصور، بنية الخطاب الحجاجي في كتيبة ودمنة لابن المقفع، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، تخصص اللسانيات واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015م، 2016م، ص: 241.
- 38 حافظ إساعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء الرابع، الحجاج والمراس، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص: 23.
- 39 محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، ص: 230.

- 40 ينظر: المرجع نفسه، ص: 122.
- 41 محمد خطايي، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص: 17.
- 42 ينظر: المرجع نفسه، ص: 17.
- 43 ج.ب. براون وج.بول، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، السعودية، 1997، ص: 230.
- 44 عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم عمار علي حسن، ص: 25.
- 45 المرجع نفسه، ص: 26.
- 46 المرجع نفسه، ص: 25.
- 47 المرجع نفسه، ص: 47.
- 48 المرجع نفسه، ص: 105.
- 49 المرجع نفسه، ص: 18.
- 50 ج.ب. براون وج.بول، تحليل الخطاب، ص: 230.
- 51 المرجع نفسه، ص: 230.
- 52 عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم عمار علي حسن، ص: 134.
- 53 المرجع نفسه، ص: 53.
- 54 المرجع نفسه، ص: 59.
- 55 المرجع نفسه، ص: 74.
- 56 المرجع نفسه، ص: 98.
- 57 حمدي جودي منصور، بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لابن المقفع، ص: 247.
- 58 عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص: 74.
- 59 المرجع نفسه، ص: 69.
- 60 المرجع نفسه، ص: 94.
- 61 المرجع السابق، ص: 92.
- 62 المرجع نفسه، ص: 78.
- 63 المرجع نفسه، ص: 89.
- 64 المرجع نفسه، ص: 111.

- 65 محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي، ص: 231.
- 66 محمد العبد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، ضمن مؤلف الحجاج، مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج4، الحجاج والمراس، إعداد وتقديم حافظ إساعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010، ص: 32.
- 67 سامية الديردي، الحجاج في الشعر العربي بنيتة وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011، ص: 168.
- 68 المرجع نفسه، ص: 168.
- 69 محمد العبد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، ص: 32، نقلا عن ابن الأثير، المثل السائر.
- 70 جميل عبد المجيد حسين، " علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية " مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر- ديسمبر 2003، عدد 02، مجلد 32، ص: 146.
- 71 عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم عمار علي حسن، ص: 26.
- 72 المرجع نفسه، ص: 30.
- 73 المرجع نفسه، ص: 29.
- 74 المرجع نفسه، ص: 30.
- 75 المرجع نفسه، ص: 31.
- 76 جميل عبد المجيد حسين، علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، ص: 146.
- 77 عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم عمار علي حسن، ص: 28.
- 78 المرجع نفسه، ص: 29.
- 79 المرجع نفسه، ص: 23.
- 80 المرجع نفسه، ص: 30.
- 81 ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب، القاهرة، ط1، 2005، ص: 241.
- 82 ينظر: جميل عبد المجيد حسين، علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، ص: 146.
- 83 ينظر: أحمد عمر مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص: 5.
- 84 عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم عمار علي حسن، ص: 32.
- 85 المرجع نفسه، ص: 34.

- 86 المرجع نفسه، ص: 55.
- 87 المرجع نفسه، ص: 87.
- 88 المرجع نفسه، ص: 132.
- 89 ينظر: أحمد عمر مختار، علم الدلالة، ص: 221.
- 90 عبد الرحمان الكواكي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم عمار علي حسن، ص: 98.
- 91 المرجع نفسه، ص: 99.
- 92 المرجع نفسه، ص: 104.
- 93 المرجع نفسه، ص: 121.
- 94 ينظر: عمر مختار، علم الدلالة، ص: 222.
- 95 عبد الرحمان الكواكي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم عمار علي حسن، ص: 132.
- 96 المرجع نفسه، ص: 133.
- 97 المرجع نفسه، ص: 135.
- 98 المرجع نفسه، ص: 142.
- 99 ينظر: محمد العبد، النص الحجاجي العربي، ص: 55.
- 100 ينظر: حمدي جودي منصور، بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لابن المقفع، ص: 125.
- 101 عبد الرحمان الكواكي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم عمار علي حسن، ص: 32.
- 102 المرجع نفسه، ص: 57.
- 103 المرجع نفسه، ص: 93.
- 104 المرجع نفسه، ص: 89.
- 105 المرجع نفسه، ص: 105.
- 106 المرجع نفسه، ص: 142.
- 107 حمدي جودي منصور، بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لابن المقفع، ص: 259.